

الكتاب الثالث: "من الحرية والجنون والإبداع" (الحلقة الثامنة)



نشرة "الإنسان" 2019/10/26

السنة الثانية عشرة - العدد: 4438

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

[yehiatrakhawy@hotmail.com](mailto:yehiatrakhawy@hotmail.com)

.....  
مقدمة

حين قرأت حلقة اليوم وجدتها شديدة الصعوبة إن لم ترتبط بنشرة الأسبوع الماضي (يوم السبت 2019/10/19 لنفس الموضوع) ونظرا لأنه لم يصلني في بريد الجمعة أى تعليق عليها فقد رجعت أقرأها من جديد فوجدت بها صعوبة أقل، لكنها صعبة وجديدة ومزعجة، فقررت أن أعيد نشرها اليوم، فإن لم يصلني تعليق مرة أخرى فسوف أتوقف عن نشر بقية الموضوع برغم شدة أهميته

عذرا

يحيى

.....

.....

عن الجسد والجسم

(1) الجسد: عائق أم مجال؟

يجرنا الحديث عن الحرية من منطلق حركية البيولوجى ووراثة المرونة إلى الحديث عن الجسد وعلاقته بالفكر. نحن نقدم الجسد هنا بمفهومين متداخلين، لا ينفصلان (ليس كما حاولت الفلسفة الوجودية أن تفعل) ، فمن ناحية: هو الجسد الفيزيائى الذى يشغل حيزا حقيقيا فى الوجود، وهذا ما نفضل أن نقصر لفظ الجسد عليه، ومن ناحية أخرى هو **الحضور الحركى المتجسد للوعى** سواء لَبَسَ الجسد الفيزيائى أم لا، وهذا ما نميل إلى تسميته الجسم. (2) والعلاقة بين الاثنين وثيقة، فالمفروض طبيعيا ألا يكون ثم فرق بين هذا وذاك، إلا أن ظروف ما آل إليه تطور الإنسان، قد جعلته يتنازل جزئيا عن فاعلية النشاط الحركى الفعلى كلغة أساسية وحضور ضرورى لتعميق الوجود، مما أدى إلى تنوعات من الانفصال جعلت الوعى الحركى المتعين (الجسم) يحل محل الجسد العيانى فى بعض الأحيان، دون أن يلغيه، غالبا.

من هذا المنطلق يمكن أن ننتبه إلى أن مشاركة الجسد(الفيزيقي) فى حركية الحرية تعتمد على مدى مطابقته للجسم (الوعى المتعين فى الجسد)، فإن كانت المطابقة كاملة - نظريا - فإن ما يسرى على الجسد يسرى على الجسم، إلا أن واقع الحال يشير إلى ان المطابقة دائما نسبية، وهى-المطابقة- تزيد فى حالة الإبداع وتقل فى حالة العادية، أما فى حالة الجنون فهى تختلف بحسب نوع الجنون ومرحلته، فقد ينفصلان تماما وهذا أقرب إلى ما أسماه ه. لانج (3) النفس المنتزعة من جسدها(4) ، وقد يظهر فى صورة بعض الأعراض التى تشمل تشويه أو تقطيع الجسد مع أو بدون إحساس بالألم، كما قد تشمل بعض أنواع الانتحار.

على النقيض من ذلك فإنه قد يلتحم الجسد (الفيزيقي) بالجسم (الوعى المتعين Concretized )

فمن ناحية: هو الجسد الفيزيائى الذى يشغل حيزا حقيقيا فى الوجود، وهذا ما نفضل أن نقصر لفظ الجسد عليه، ومن ناحية أخرى هو الحضور الحركى المتجسد للوعى سواء لَبَسَ الجسد الفيزيائى أم لا، وهذا ما نميل إلى تسميته الجسم

يمكن أن ننتبه إلى أن مشاركة الجسد(الفيزيقي) فى حركية الحرية تعتمد على مدى مطابقته للجسم (الوعى المتعين فى الجسد).

إن كانت المطابقة كاملة - نظريا - فإن ما يسرى على الجسد يسرى على الجسم، إلا أن واقع الحال يشير إلى ان المطابقة دائما نسبية، وهى-المطابقة- تزيد فى حالة

Consciousness بتطابق فجائي وحاسم دون تمهيد أو إبداع أو استيعاب، بما يترتب عليه نقلة زائفة تلغى أحدهما من أول إنكار الجسد الفيزيقي (ضلالات العدمية الجسدية) حتى ضلالات التسامي والسمو بالجسد بعد احتوائه إنكارا (في بعض حالات الهوس مثلا).

في تناولنا لمسألة الموت (مما سنرجع إليه تفصيلا في موقع آخر) يمكن الاكتفاء بالإشارة هنا إلى أن اختفاء الجسد أعضاء وخلايا قد يصحبه اختفاء الجسم وعيا متعينا، إذا لم يكن صاحبهما قد تحرك حراً مبدعاً متجادلا مع الوعي الكوني بدرجة كافية (مساحة الحالة الإبداعية)، أما إذا كانت حالة العادية هي الغالبة فقد يكون اختفاء الجسد نذيرا باختفاء الجسم معه كله أو باستثناء بقايا متناثرة تمثل نشازا عابرا أو دائما في علاقتها بهارمونية الوعي الكوني (إلى وجه الله).

أن تناول مسألة الحرية من خلال هذا المنظور لكل من الجسد والجسم يتجلى بشكل متنوع بقدر درجة التطابق، والمرونة، والحركية، مساحة ممارسة حالات الإبداع والجنون والعادية، وتناوبها مع بعضهما البعض. من هنا يمكن القول إن الجسد اللحم الدم، - من حيث المبدأ - ليس مجرد حامل للرأس المحتوى على المخ، المسئول عن الفكر، لكنه جزء لا يتجزأ من حركية الوجود، وأداة أساسية في فعل المعرفة. إن المعلومات، وخاصة المعلومات الأساسية الموروثة أو المصومة<sup>(5)</sup> لا تتواجد في الدنا DNA الخاص فقط بخلايا المخ، وإنما هي تغوص أيضا في خلايا الجسد، وبالتالي يمكن أن يمثل هذا الجسد0(العياني/الحسي/الحركي/اللحم/الدم) سجنا لحركية الفكر (ضد الحرية)، كما يمكن أن يكون هو الوسط المرن الذي يسمح بازدهار خصوصية حركية الفكر<sup>(6)</sup>، مساهما فعلا في ذلك.

لقد عايشنا هذه القضية من خلال مصادر عملية (خبرائية) (Experiential) أثناء ما أسميته معايشة الجنون مع مرضاى: وذلك أثناء تعة الضلال وتفكيكه وخاصة في حالات البارانويا المزمنا وتحت المزمنا<sup>(7)</sup> وحالات اضطرابات الشخصية، وإلى درجة أقل نجاحا، حالات الوسواس القهري<sup>(8)</sup> وذلك باستعمال علاج التنشيط الجسدي (بالعدو أساسا والرقص إلى درجة أقل) وأثناء علاج الحرمان من النوم. ولقد لاحظنا أن البدء بتفكيك الوضع الجسدي من خلال التنشيط غير الراتب، وغير المكرر، وغير المألوف، لو أنه تم في صحبة "آخر" حقيقي ومتحرك (معالج/معالجين من نوعية خاصة، يمارسون نفس الفعل الجسدي) فإنه قد يؤدي إلى تفكيك في الضلال الثابت في حالة البارانويا كما يصاحبه تفكيك في المنظومة المفهومية الغائرة والمعوقة في حالة اضطراب الشخصية.

أما في علاج الحرمان من النوم<sup>(9)</sup> فقد لاحظنا أن كسر نمطية الإيقاع اليوماوي (اليوماوي/السركادي circadian) بالسهر المتصل ليلا ونهارا عدة أيام إلى أسبوع فأكثر، كل ذلك إنما يكسر دوائر الإيقاعية الحيوية المغلقة على نفسها، وبالتالي تنكسر المنظومات الفكرية المنغرسه فيها - في الجسد- بما يترتب عليه درجة مقابلة من التنشيط، فاستعادة تناول البسط الملء الفعال الذي يساعد على كسر جمود الضلال فاستكمال التأهيل.

وقد خرجنا من كل هذا بطرح فرض يقول:

إن "المفهوم الثابت" و"الضلال الغائر" ينغرسان في الجسد (الجسم) جنبا إلى جنب مع انغراسهما في أكثر من موقع ومساحة من خلايا المخ

وبما أن خلايا المخ ليست دائما في متناول التحريك النشط المباشر (اللهم إلا بالمذيبات للنفس psychodelics من المهلوسات، مثلا<sup>(10)</sup>) (فقد كانت الوسيلة للتعرف على علاقة الجسد بالفكر هي التعامل مع الجسد مباشرة كمدخل إلى الكلمة والمفهوم. وقد واجهنا صعوبات من الزملاء في تقبل هذه الفروض والعمل من خلالها أكثر مما واجهنا صعوبات من المرضى، لكن مع التدرج والمثابرة استطعنا أن نحقق جانبا من هذه الفروض مما يمكننا من تطبيق نتائجها على هذه الفرضية الجديدة الخاصة بالحرية، ومن ذلك:

1- إن المفهوم الفكري الثابت حتى الجمود (فالإعاقه) هو منغرس في الجسد كله بقدر ثباته في خلايا المخ.

2- إن الحركة المنتظمة في دورات النوم/الحلم/اليقظة قادرة على تعة هذا المفهوم الجامد أثناء

في حالة الجنون فهي تختلف بحسب نوع الجنون ومرحلته، فقد ينفصلان تماما وهذا أقرب إلى ما أسماه هـ. لانج<sup>(3)</sup> "النفس المنتزعة من جسدها"<sup>(4)</sup>

قد يلتصق الجسد (الفيزيقي) بالجسم (الوعي المتعین) بتطابق فجائي وحاسم دون تمهيد أو إبداع أو استيعاب، بما يترتب عليه نقلة زائفة تلغى أحدهما

في تناولنا لمسألة الموت يمكن الاكتفاء بالإشارة هنا إلى أن اختفاء الجسد أعضاء وخلايا قد يصحبه اختفاء الجسم وعيا متعينا.

إذا كانت حالة العادية هي الغالبة فقد يكون اختفاء الجسد نذيرا باختفاء الجسم معه كله أو باستثناء بقايا متناثرة تمثل نشازا عابرا أو دائما في علاقتها بهارمونية الوعي الكوني (إلى وجه الله).

يمكن القول إن الجسد اللحم

الدم، - من حيث المبدأ - ليس مجرد حامل للرأس المحتوى على المخ، المسئول عن الفكر، لكنه جزء لا يتجزأ من حركية الوجود، وأداة أساسية في فعل المعرفة.

إن المعلومات، وخاصة المعلومات الأساسية الموروثة أو المبرومة<sup>(5)</sup> لا تتواجد في الدنا DNA الخاص فقط بخلايا المخ، وإنما هي تخص أيضا هي خلايا الجسد،

يمكن أن يمثل هذا الجسد (العياني/الحسي/الحر كئي/اللحم/ الدم) سبنا لحركية الفكر (ضد الحرية)، كما يمكن أن يكون هو الوسط المرن الذي يسمع بازدهار خصوبة حركية الفكر (6)، مساهما فعلا في ذلك.

في علاج الحرمان من النوم<sup>(9)</sup> فقد لاحظنا أن كسر نمطية الإيقاع اليوماوي (اليوماوي/السركادي circadian) بالسهر المتصل ليلا ونهارا لمدة أيام إلى أسبوع فأكثر، كل ذلك إنما يكسر دوائر الإيقاعية الحيوية المنغلقة على نفسها.

النوم، ومن منطلق خلايا المخ أساسا والجسد تال لذلك، لكن جمود الجسد وقبضته قد تكون قادرة - في الحالات المتجمدة - على الأمر المباشر بعودة الأمور إلى غوصها وثباتها، وذلك فور اليقظة مباشرة (كما كنت!)، الأمر الذي يظهر فيمن ينكر أنه يحلم أصلا، أو ينسى أحلامه تماما فور استيقاظه (علما بأن النشاط الحالم يستغرق ربع ساعات النوم على الأقل، كما ذكرنا في الفصل الأول).

3- إن التعتة في ذاتها ليست هي الغاية العلاجية، ولكن إمكانية تناول نتائجها هو المنطق التي يتحرك فيها المعالج والمريض بقدر من الوعي (والحرية) بما يتناسب مع تناول الحالى لقضية الحرية "معا"، وذلك من خلال استعادة المرونة والتنشيط، ومن ثم إمكانية التأهيل وإعادة التشكيل.

4- إنه كلما كان التحريك غير منتظم وغير مألوف (مثل الهرولة في الجرى دون الجرى التنافسي، ودون الجرى الراتب) كانت تعتة المنظومات الثابتة أكثر احتمالا ووعودا.

بنفس القدر فإن كسر انتظام دورات النوم/اليقظة الليلنهارية (اليوماوية)، يترتب عليه مثل هذه التعتة (كما ذكرنا في علاج الحرمان من النوم).

لن أمل من توضيح الخلط المحتمل الناشئ من استعمال هذه اللغة الخاصة، فإذا كان للكلمة "جسم" يُمسك لو أنها حملت معناها فعلا، فهي أيضا يمكن أن تنغرس في جسد من لحم ودم، وهذا الاختلاف عن المفهوم الوجودي هو ما أعنيه تماما من احترام الخلايا والجسد العياني، دون إعطائها استقلالاً أو أسبقية، وفي نفس الوقت احترام "الكلمة" جسما ووعيا، وليست مجرد رمز أو تجريد، دون أن تنفصل عن الجسد، وأخيرا احترام الوصلة النشطة والكامنة بينهما، أي بين الكلمة والجسد.<sup>(11)</sup>

## ونكمل الأسبوع القادم

- [1] هذا هو الكتاب الثالث باسم "عن الحرية والجنون والإبداع" نشرت صورته الأولى في مجلة فصول- المجلد السادس - العدد الرابع 1986 ص(58/30) وقد تم تحديثها دون مساس بجوهرها، وهو الفصل الثالث من كتاب "حركية الوجود وتجليات الإبداع" الصادر من المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، والكتاب يوجد في طبعته الأولى 2007 وهذه هي الطبعة الثانية بعد أن قُسم إلى أربع كتب أضيف إليها ما جد للكاتب بين الطبعتين، وهذا الكتاب هو الثالث.

- [2] استعملت هذه التسمية الفارقة قبل أن أطلع على ما يقاربها في الفكر الوجودي: (فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية، حبيب الشاروني الطبعة الثانية 1974 القاهرة - مكتبة الأنجلو)، وقد طمأننى ذلك رغم عدم التطابق، ذلك لأننى -على خلاف الفكر الوجودي- ربطت بين الكيانين (الجسم/الجسد) برباط نشط أو كامن يمكن أن يتنشط، رباط بيولوجي وتجريدي في آن (المتن) ومن المهم أن أؤكد أن بداياتي وعودتي هي إلى الجسد العياني أساسا. هذا وقد أكد تيسير شيخ الأرض على دور الجسد مستعملا كلمة "البدن" بشكل أساسي وجوهري وجامع، وذلك في فلسفته "الأجدوانية" التي لم تأخذ حقها أبدا. (دراسات فلسفية. محاولة ثورة في الفلسفة - دار الأنوار. بيروت 1973).

- [3] النفس المنقسمة 1950 D.H. Lrang Folit Self

- [4] Disembodied self

- [5] ظاهرة البصم imprinting هي الظاهرة التي اهتم بدراستها علماء الحيوان لدراسة السلوك الجاهز الذي يطلق من الكائن حديث الولادة، واعتبروا ذلك نوعا من التعلم الغائر، وقد طورت هذه الظاهرة في ممارستي الإكلينيكية، لأرصد الظاهرة في الأوقات الحرجة وهي تتم، وليس وهي تطلق، وخاصة في العلاج المكثف النشط، وأوقات النمو الحرجة، وبالنسبة لسلوك ذي الدالة التطورية.

Hess H.H. : Ethology in Freedman A. & Kaplan H. (1967) ، [Comprehensive Text Book of Psychiatry] Williams & Wilkins Company P 180-188

ثم: يحيى الرخاوى: (دليل الطالب الذكي في: علم النفس انطلاقا من: قصر العيني) - (ص 132) الطبعة الأولى (1980) الطبعة الثانية (2018) - القاهرة.

- [6] كتبت هذه الأطروحة قبل أن يصلني - منذ ثلاث سنوات - كتاب بعنوان "Philosophy in the Flesh LakkoF : a challenge to western thinking" "الفلسفة منغمسة في الجسد : تحديات في مواجهة الفكر الغربي. وقد اطلعت على الكتاب ووجدت أنه يتفق مع الخبرة المطروحة في هذا الفصل في هذا الموضوع من حيث المبدأ، وكدت أضيف منه ما تيسر إلا أنني وجدت أن أوْجُل ذلك لبحث أكثر تركيزاً على الجسد كوسيلة للمعرفة، وليس فقط كما هو الحال هنا: مجالاً لحركية الحرية.

- [7] حالات البارانويا المزمنة، وتحت المزمنة هي حالات تنصف بوجود اعتقاد وهمي خاطئ (أسميه ضلالاً والشائع أن اسمه هذا وقد رفضت هذه التسمية وبينت أسباب ذلك في موقعه) وهذا الاعتقاد الثابت يكون من الثبات والعمق والتسلسل بحيث يصعب أو يستحيل تعديته وتغييره بالاقناع والشرح، وأحياناً أيضاً لا بالعقاقير وجلسات تنظيم إيقاع الدماغ في الأحوال العادية. كذلك الحال في حالات اضطراب الشخصية من النوع النمطي لها نفس التركيب، وإن كان ما يسمى ضلالاً يكون مختلفاً بعيداً عن ظاهر الشعور في حالة اضطراب الشخصية.

- [8] حالات الوسواس القهري تنصف -تركيبياً- بصفات حالات البارانويا من حيث صلابة المعتقد وخطئه وتماسك الشخصية، إلا أنها تختلف من حيث بصيرة المريض بهذا الخطأ، ومحاولاته المتكررة للتخلص منه وتصحيحه دون جدوى.

- [9] ثمة خبرات طويلة في هذا الشأن لم ينشر منها إلا أقلها أنظر مثلاً:

Y.T. ،Y. and Rakhawy ،R. Amin ،Mahfouz ،E. ، Hamdi (1982) Sleep Deprivation Therapy: A Part of an Integrated Plan in a Special "Milieu". Egyptian Journal of Psychiatry

- [10] الخبرة التي قدمتها لنا عقاقير الهلوسة مثل الـ LSD (برغم قصر عمرها، وهشاشة نتائجها) تستحق أن ترتبط بهذا المنطلق الحالي للربط بين البيولوجي و الجسد و بين الجسم والوعي جميعاً، وهي خبرة تعاطى عقاقير تعوق حركية التوصيل بين خلايا المخ، فيتربط عليها حالة من الهلوسة، نتيجة لتفكك الحواجز بين خلايا المخ، وبالتالي استقبال كل منها للآخر وما يتبع ذلك من خلط وإسقاط وغير ذلك، ومن ناحية أخرى فقد أظهرت هذه التجارب بعض لمحات إشراقات= الإبداع المجهضة، وأهمية هذه الملاحظات أن المخ، والجسد، والجسم/الوعي، والمنظومات الفكرية تمثل أربع مناطق منظمة ومتماسكة وواحدة، وفي نفس الوقت يتصل كل منها بالآخر وكأنه صورة للآخر لكن بلغته الخاصة، فإذا تعنت تنظيم من هذه التنظيمات كيميائياً، أو مرضياً، أو علاجياً، سمع عند الآخر، وتتوقف إيجابية أو سلبية الناتج على جرعة التعنت، والجو المحيط والتأهيل اللاحق بما يحتاج إلى تفصيل آخر.

- [11] عايشت كل ذلك وسجلته قبل تعرفي على المعطيات الأحدث للعلم المعرفي، ودور الجسد في التفكير، مما قد يحتاج إلى عودة كما ذكرت.

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD261019.pdf>

\*\*\* \*\*

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيقاً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2019 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس)

الشبكة تطفئ شمعها الثامنة عشر وتدخل عامها التاسع عشر من التأسيس

18 عاماً من الضحى... 61 عاماً من التواصل "

( التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13 )

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

إن "المفهوم الثابت" و"الضلال الغائر" ينغرسان في الجسد (الجسم) جنباً إلى جنب مع انغماسهما في أكثر من موقع ومساحة من خلايا المخ

حائز الوسيلة للتعرف على

علاقة الجسد بالفكر هي

التعامل مع الجسد مباشرة

تدخل إلى الكلمة

والمفهوم.

إن المفهوم الفكري الثابت

حتى الجمود (فالإحافة) هو

منغرس في الجسد كله بقدر

ثباته في خلايا المخ.